تُجَانِبُ الصواب. الغُبَار، آهِ مِنْ غَدٍ لنا اسمه الغُبَار! ولكنْ، على غرار الزّمان والمكان، اللّذين يتحلّلان ويتفكّكان ثم يتلاشيان، يكون أمْسُنا واليوم. وأمْسُنا واليوم الذي أجد نفسي فيه/ الذي يَحْسَبُني هنا ويحسبني في الآن، أمسُنا واليوم يُقيمان الممالك، أو يَخْلِطان مَمَالِكاً(*) بممالك، إذا أردنا مزيداً من صدق الكلام إنني، عند التقاء النهرين، لا أجِدُني في مكان، ولا أجدني سليلاً حتى للآن وعلى خطواتٍ مِنْ هنا، عند طرف الغابة من شطّ العرب، في قريةٍ من اللّبِن الأحمر، تحت ظلال كثيفة، لسماءٍ عبثيّةَ الزُّرْقة، في هذه القرية وُلِد امرؤٌ وعاش أربعين لم يغادر، ولد شاعر، ولد شاعر كبير اسمه: بدر شاكر السيّاب وعلى يد الشاعر، كان لقرية جَيْكور، الجاثمة بين دِجْلَة والفرات، أن تتفيّأ ظِلَّ سَعْفةٍ، أماداً بَعْدَها آماد

عربرو هم أبناء الأرض الذين يعتقدون أنّ اللّغة لمّا تنشأ، وأن الألسنة لم يَجْرِ بها النطق إنّهم، بشيءٍ من الغموض، يحسَبُون أنفسهم مسؤولين عَن اللّغة وألسنتها، وهم يعثُرون بمعاني الكَلِمات في الألسنة الجارية نعم، هذه الكلمات تتكلّم ولا تقول، تُعَلِّم وتُعْلِم، لكنّها لا تُنْقذ إنها جواهر فقيرة غير أنّ من أذكرهم لا يحسّون جوعاً إلاّ للجوهر

وأيّ جوهر؟ إنّ عودتي إلى الطبيعة غَيْرَ المتوقّعة لهذا الجوهر ينبغي أن تكون عودةً مُطوّلَة. إذا قَبِلَ هذا الجوهر أن نَقْبِض عليه بغير المعادلات الميتة الّتي، بموتها الغامض والواعي، إنّما تغذّي شعلةً تكون إشعاعاً حقيقيّاً، أكثر ممّا تكون شعاعاً مُتَخَيَّلاً سأتكلّم أيضاً عن الاحتراق، هذا الموضوع - المضاء الذي يثير الروعة. وهكذا، فإننا، بشيء من التقريب، نستطيع أن نعلن أن الشعر، مادام الأمر يتعلّق بالشعر، إنّما هو جوهر، ومعادلة، واحتراق، وإشراق وهو، في

(*) صرفتُ هذا الممنوع لضرورة في التركيب أحسستُها، شبيهةٍ بضرورةٍ في الوزن قد عُرِفت، فأصعبت لم أعبأ، ثم رأيتني أقعّد اجترائي وسمعتُني أكتب إن في النثر الفنّي الموقّع، الذي يقتضب حتى اللمح، نسمةً من الشعر إذا هَبَّتْ على الكلام، قَرَّبَتْ لغته من لغة الشعر، وسخرت مِنْ قمعٍ وقيود (أحمد حاطوم)

تحت سماء جاك بيرك

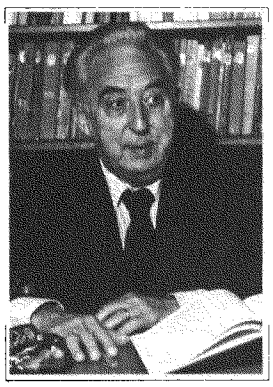

إذا قلنا عن جاك بيرك إنه كان صديق العرب فقد قلنا الكثير، وإن لم يكن وافياً هذا العلاّمةُ العظيم، وهذا الصائغ الرائع، وهذا الرجل الحَدْسيُّ المتحمِّس، هذا المناضل من أجل استقلال العالم الثالث، كان قد جعل من العروبة، التي عاشها بوعي، مبرِّرَ وجوده، بل حتّى معنى معركته الوجوديّة، النجم الأعلى من قَدَره. ففي اللحظات التاريخية الشديدة الصعوبة التي كان العرب، المنخرطون على عدّة جبهات، مجبرين فيها على إحصاء أصدقائهم، كان بيرك موجوداً دائماً، إلى جانبهم، صلباً وأميناً كصخرة - صخرةٍ كتلةٍ كأنّها مقدودة من جسمه بالذت، وهو يتلبّس مظهرها المادّي

لقد خاض بيرك إلى جانبنا جميع معارك الاستقلال: معركة الناصرية (كان جمال عبد الناصر المشنَّع عليه من الغرب كلّه والذي ينبغي الاعتراف بأن الشيوعية قد عوّمته، يجد في «بيرك»، على الصعيد الثقافي، حليفاً أساسياً)، ومعركة الجزائر، وتقلبّات الصراع العربي الإسرائيلي الدراماتيكيّة المتعدّدة، ومعارك أخرى أيضاً بعضها مرئيٌّ وكثير منها خفيّ. ولكن أكثر ما كان يهمُّه وما كان قد حَلُمَ به من أجلنا، ما كتبه لنا كما ليساعدنا على تعرُّف واحد من أخطر أعدائنا - الأخطر لأنه غالباً مقنَّعٌ بألف قناع وألف تبرير مزعوم - هو أن يرانا، نحن العرب، نأخذ أخيراً في يدنا، بجرأة وعزم، قَدَرنا نفسه، من الداخل، ونخوض الصراع الضروريّ ضدّ جميع ألوان التخلّف التي كنا ضحيّة لها، وكنّا غالباً المتواطئين معها: التخلّف الثقافيّ، والتخلّف العلميّ، والتخلُّف الاقتصادي، والتخلُّف الاجتماعي أجل، إنني أشدّد على كلمة «المتواطئين» - وقد كان بيرك يعرف ذلك. لقد كنّا، ومانزال، شعوباً لم تحقّق بعد تحوُّلها السياسيّ، بالمعنى الرفيع للتحوّل، لنعبُرَ الحاضر الصعب، لننطلقَ من الماضي نحو المستقبل ونلحق بالقطار الكونيّ.

لقد مات بيرك وهو عظيم الحزن أن لا يرى حلمه يتحقّق، بل أن يرى في عام ١٩٩٥، وهو عام غيابه، العالم العربيّ الذي تمنّى عميقاً وحدته الثقافية ونموّه المستردّ، يزداد انقساماً وتمزّقاً، وأن يعاني الذلّ والهوان أكثر من أيّ وقت مضى

ومهما يكن من أمر، فقد ترك لنا، نحن المثقّفين العرب، إرثاً إيصائيّاً ينبغي أن نوليه كلّ اهتمامنا، هو أن نلحق، انطلاقاً من الطموح الذي كان في نظره يميّز شعوبنا، بل أمّتنا، وبما نملك من تراث الأمس ومن جميع طاقات اليوم وإمكانات الغد - أن نلحق بالتيّار الذي لا يمكن تجنُّبه بعد، تيّار الحضارة العالمية. فعسانا نحفظ لجاك بيرك هذه الأمانة ونستلهم هذا النور الذي تصوّره ليضيء، بشمسٍ أخرى، المشرق والمغرب العربيين

صلاح ستيتية

ترجمة: **الآداب**